عليه حرام وإن كان له في بعض الأوقات فترجعوا لكسب واجب عليه قال بعضهم وجعل المصنف الاكتساب
في مقابلة التوكل بنظر فإن الاكتساب لا ينافي التوكل فإن التوكل سكون القلب إلى الله والاعتماد عليه
لا على السبب وفي الحديث أن رجلا قال يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل أو أعقلها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل
رواه البيهقي وغيره وروي عن معاوية بن قرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى على قوم فقال ما أنتم فقالوا
نحن المتوكلون فقال بل أنتم المتأكلون ألا أخبركم بالمتوكلين رجل ألقى حبه في بطن الأرض ثم توكل على ربه
قال البيهقي يعني المتوكلين على أموال الناس قال الجنيد ليس التوكل الكسب ولا ترك الكسب التوكل
سكون القلب إلى موعود الله قال البيهقي فعلى هذا ينبغي أن لا يكون تجرده هذا السكون
عن الكسب شرطا في التوكل بل هو يكتسب بظاهر العلم ويعتمد بقلبه على الله تعالى كما قال بعضهم
اكتسب ظاهرا وتوكل باطنا فهو مع كسبه لا يكون معتمدا على كسبه بل معتمدا في كفاية أمره على الله تعالى
وطالب التجريد عن الأسباب لتشاغله عن الله تعالى وهو قد أقامه في الأسباب التي هي الحرف والتجارات
التي يصون بها وجهه عن الابتذال بالسؤال ويحفظ العزة نفسه عن منن الخلق قبل أن لا يمن عليه
أحد اشترى منك أو استأجرك على عمل شيء له وفي القيام بالأسباب رحمة للمتجردين عنها المتوجهين
لطاعة ربهم فلولا قيام أهل الأسباب لما تيسر لصاحب الخلوة خلوته ويجاهد بتر لعبادة ربه فإن
الله تعالى جعل أهل الأسباب كالخدمة للمقبلين عليه فطلب التجريد مع إقامته في الأسباب
من الشهوة الخفية الداعية إلى طلب الراحة وإنما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع الله من إقامته
إياه فيما أقامه عليه وعلامة إقامته في الأسباب أن يحصل له ثمرته ويتيسر له بأن يجد في حال
تشاغله في الأسباب سلامة في دينه وقطعا للطمع فيما عند غيره وحسن نية في صلة رحم فيما ينتسب
به وإعانة فقير معدم أو متجرد مقبل على الله تعالى وغير ذلك من فوائد المال المتعلقة بصلاح
الدين ودخ وانحط أي من أقامه الله تعالى في التجريد عما يشغل عن الله إذا طلب الخروج منه إلى الدخول
في الأسباب والاهتمام بتحصيلها فهو انحطاط وتنزل عن ذروة العز العلية إلى الرتبة الدنية
وسوء أدب مع الله تعالى لما فيه من مصادمة الربوبية بالتدبير معه ولعله لا ينفع كثيرا مما قصده
والحق والأصلح له أن يمكث حيث أقامه الله فيه وأن يتصامه لك وترك التدبير لنفسك والاختيار
فإنهما يكدران المعيشة قال أبو الحسن الشاذلي إن كان ولا بد من التدبير والاختيار
فدبر أن لا تدبر حتى يكون الحق سبحانه وتعالى هو الذي يتولى إخراجك مما أنت فيه
ومسألة ترك التدبير أساس طريق الصوفية والكلام فيها طويل وقد أفردت بالتصنيف وقصد
العدو اللعين منك أن يأتيك فيما أنت فيه فيحقره عندك فيشوش قلبك ويتكدر وقتك
وذلك أنه يأتي للمتسببين في حق الجمع لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار
ولصفيت منكم القلوب والأسرار وكذلك صنع فلان وفلان ولكون هذا العبد ليس
مقصودا للتجريد ولا طاقة له به وإنما صلاحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب
إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بالرزق وكذا يأتي للمتجردين ويقول لهم
إلى متى تتركون الأسباب ألم تعلموا أن ذلك يطمع القلوب لما في أيدي الناس ولا يمكنكم
الإيثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما يكون منتظرا لما يفتح به عليك من غيرك فلو دخلت في الأسباب

في

بل غيرك ينتظر ما يفتح عليه منك ويكون هذا العبد قد طاب وقته واتسع نوره ووجد
الراحة بالانقطاع عن الخلق ولا يزال الشيطان حتى يعود إلى الأسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه
ظلمتها ويعود الدائم في نسبة أحسن منه حالا وإنما يقصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد من الرضا
عن الله تعالى فيما أقامهم فيه وأن يخرجهم عما اختاره لهم إلى ما يختارونه لأنفسهم وما أدخلك الله فيه
تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك
والمخرج الصدق أن تخرج منه لا بنفسك **قوله أو لتماهن** وهو الاحتقار
والصغار والحقارة ومن مكائد العدو وتلبيسه أن يحث المقبل على الله بالطاعة
على ترك جانب الله وترك الاجتهاد في العبادة موهما بتلبيسه أن هذا مقام التوكل على الله
وفتح باب الرجاء وحسن الظن بربه وإنما هو غرور ومهانة وميل إلى الكسل وطلب الراحة ومن
وفقه الله تعالى يلهمه البحث عن هذين الأمرين اللذين يأتي بهما الشيطان في صورة غيرهما
كيدا منه لعله أن يسلم منهما ومن تمويهه وإغوائه ومكايده أعاذنا الله تعالى منها
وأولادنا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات **ثم تعلم ربح بحثه عنهما أن الأمور**
في ملكه تعالى إلا ما يشاء ويريده تعلمنا أنه لا يريد له هيأ منه إلا يفعل بعباده ما يشاء ويحكم
فيهم بما يريد سواء كان أصلح لهم أم لم يكن لأن الخلق خلقه والأمر أمره لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون والألف في قول الناظم تفصلا وبرلا وانزا وتحصلا للإطلاق وقوله
يلهم ببنائه للفاعل أو المفعول فالبحث على الأول منصوب وعلى الثاني مرفوع وفي
بعض النسخ بدل اطرح بدل والحمد لله على الكمال سائلا توفيق الحق تعالى ثم الصلاة
والسلام أبدا على النبي الهاشمي أحمد والآل والصحب ومن لهم قفا وحسبنا الله تعالى وكفى
وقد تقدم الكلام على الحمد والصلاة في أول الكتاب والهاشمي نسبة لبني هاشم والألف
وأحمد للإطلاق وقوله قفى بمعنى تبع والله أعلم تم المنظوم بحمد الله وحسن توفيقه

سئل الشافعي رحمه الله تعالى ما الدليل من القرآن على أن الإجماع حجة فقال
قوله تعالى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)